

النهاية في غريب الأثر

{ بَدَأ } ... في أسماء الله تعالى [المبدئ] هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال .

(ه) وفي الحديث [أنه نَفَّسَ في البَدْءِ الرُّبْعَ وفي الرُّجْعَةِ الثَّلَاثَ] أراد بالبَدْءِ ابْتِدَاءَ الْغَزْوِ وبالرجعة الْقُفُولِ منه . والمعنى : كان إذا نَهَضَتْ سَرِيَّةً من جملة المعسكر المقبل على العدو فَأَوْقَعَتْ بهم نَفْسَ لَهَا الربع مما غَنِمَتْ وإذا فعلت ذلك عند عود العسكر نفلها الثلث لأن الكَرَّةَ الثانية أَشَقَّ عليهم والْخَطَرُ فيها أعظم وذلك لِقُوَّةِ الطَّهْرِ عند دخولهم وضعفه عند خروجهم وهم في الأوَّل أنشَطَ وأشْهَى للسير والإمعان في بلاد العدو وهم عند الْقُفُولِ أضعف وأفتَر وأشْهَى للرجوع إلى أوطانهم فزادهم لذلك .

- ومنه حديث علي رضي الله عنه [والله لقد سمعته يقول : لِيَضْرِبَنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا] كما ضَرَبَتْهُمْ مُوْهَمٌ عَلَيْهِ بَدْءًا [أي أوَّلاً يعني العَجْمَ والمَوَالِي . ومنه حديث الحديبية [يكون لهم بَدْءٌ وَ الْفُجُورُ وَثَنَاهُ] أي أوَّله وآخره . (ه) ومنه الحديث [مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دَرْهَمَهَا وَقَفَرِيْزَهَا وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدَّيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ] هذا الحديث من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه أخبر بما لم يكن وهو في علم الله كائن فخرَّجَ لفظه على لفظ الماضي ودلَّ به على رضاه من عمر بن الخطاب بما وطَّفه على الكفرة من الجزية في الأمصار .

وفي تفسير المنع وجهان : أحدهما أنه علم أنهم سيُسَلِّمون ويسقط عنهم ما وُطِّفَ عليهم فصاروا بِإِسْلَامِهِمْ مانعين ويدل عليه قوله : وَعُدُّتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ لأن بَدْءَ أَهْمٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ سَيُسَلِّمون فعادُوا مِنْ حَيْثُ بَدَأُوا . والثاني أنهم يَخْرُجُونَ عَنِ الطَّاعَةِ وَيَعْمَلُونَ الْإِمَامَ فَيَمْنَعُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوُطَائِفِ . وَالْمُدِّيُّ مَكْيَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَالْقَفَرِيْزُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَالْإِرْدَبُّ لِأَهْلِ مِصْرَ .

(ه) وفي الحديث [الْخَيْلُ مُبْدِئَةٌ يَوْمَ الْوَرْدِ] أي يُبْدَأُ بِهَا فِي السَّيْرِ قَبْلَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَقَدْ تَحْذِفُ الْهَمْزَةَ فَتَصِيرُ أَلْفًا سَاكِنَةً .

(س) ومنه حديث عائشة رضي الله عنها [أَنَّهَا قَالَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُدِئَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَارِئًا سَاهَ] يُقَالُ مَتَى بُدِئَ فُلَانٌ ؟ أَيِ مَتَى مَرِضَ وَيُسْأَلُ بِهِ عَنِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ .

- وفي حديث الغلام الذي قتله الخَضِرُ [فانطلق إلى أحدهم بِأَدِي الرّأي فقتله] أي في أوّل رَأي رآه وابتدأ به ويجوز أن يكون غير مهموز من البُدُوّ : الظهور أي ظاهر الرأْي والنّظر .

(س) وفي حديث ابن المسيّب في حَرِّم البئر [البَدِئ خمس وعشرون ذراعا] البَدِئ - بوزن البَدِيع - : البئر التي حُفِرَت في الإسلام وليست بعَادِيَّة قديمة